العرب
الثلاثاء 2020/07/07
السنة 43 العدد 11754

«السينما النظيفة».. فتنة فنية نائمة أشعلها يوسف الشريف

المفهوم يجعل معيار النجاح أخلاقيا ويلغي العناصر الأساسية لصناعة سينما جيدة

لا يزال مصطلح السينما النظيفة يثير الجدل في مصر بين أنصار حرية الفن والمدافعين عن الذوق العام، رغم مرور عقود على ظهوره في موجة أفلام كوميدية خفيفة غيّرت قناعات المنتجين ودفعتهم لحصد إيرادات وجوائز دون الاعتماد على المشاهد الساخنة.

يوسف الشريف يرفض لمس النساء أثناء التصوير

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

القاهرة – أعاد الفنان المصري يوسف الشريف العلاقة الملتبسة بين ما يسمى بـ"الفن النظيف" وحرية التعبير إلى الواجهة مجدّدا بحديثه عن اشتراطات أخلاقية يضعها في عقود أعماله، يطلب فيها عدم تقديم مشاهد ساخنة وترك مساحات بينه وبين الممثلات لتصبح تصريحاته مثار جدل فني واجتماعي لم يهدأ في مصر حتى الآن.

يشبه مصطلح "السينما النظيفة" نارا كامنة تحت الرماد تنتظر من يفتح لها ثقب هواء للعودة إلى الاشتعال، فمؤيدوه ومعارضوه كثر في الوسط الفني وبين الجمهور التقليدي، وكل فريق يملك مسارات تحمي قناعاته، فمنهم من يرى عدم مشروعية وضع الفن ضمن تصنيفات الأخلاق الضيقة والمتقلبة، ويدافع آخرون عن حماية الذائقة العامة للجماهير من الخدش أو الانتهاك.

ولا يعتبر يوسف الشريف الفنان الوحيد الذي يعبّر عن رفضه للمشاهد الساخنة في الأعمال السينمائية، لكن حديثه كان الأكثر إثارة للجدل منذ التبشير بـ"سينما اللاقبلات" التي تشكّلت ملامحها منذ ثلاثة عقود بسبب طريقته الصريحة التي لا تقبل الالتباس والمغلفة برداء ديني وأخلاقي، على عكس غيره من الممثلين الذين يطبقون المبدأ ذاته ولا يجاهرون بالإفصاح عن شروطهم أو إملاءاتهم على المخرجين.

ياسمين عبدالعزيز

«السينما النظيفة» مصطلح باطل منذ نشأته ويخنق الإبداع

ونشأت "السينما النظيفة" بمصر في التسعينات كثورة على موجات الجرأة غير المعهودة لجيلي السبعينات والثمانينات ودخول نمط من الإنتاج الخاص حينها للسوق أغلبه من منتفعي سياسة الانفتاح الاقتصادي الذين استحدثوا "سينما المقاولات" بمنتجين مهنتهم الأصلية بناء العقارات، واعُتبرت حينها اللقطات الساخنة محورا أساسيا وليس مكمّلا في تقليد ظاهري فجّ للسينما الغربية حينها.

واكتسب المفهوم زخما مع موجات مدّ لأعمال كوميدية خفيفة لمحمد هنيدي وأحمد حلمي وأحمد مكي وهاني رمزي تصدّرت إيرادات التذاكر دون تضمينها لقطة واحدة خارجة، ما جعلها صالحة للمشاهدة العائلية بأسرها دون الحاجة لوضع تصنيفات عمرية لها تحت شعار "فن لكل أفراد الأسرة دون خجل أو قلق".

طابع تجاري

قال الناقد الفني طارق الشناوي، الذي كان من أشدّ المتحفظين على تصريحات يوسف الشريف، إن السينما النظيفة توصيف خادع ليس له علاقة بالفن، فالأفلام لا يجب تقسيمها إلاّ لنوعين، أحدهما عمل مكتمل يتضمن إبداعا فنيا، أو ضعيف وخال من مقومات الإبداع ويفتقر للصناعةً الجيدة على مستوى القصة والإخراج.

ووفقا لكتاب "سنوات الضحك في السينما المصرية" الذي أصدره الشناوي، فإن فترة انتعاش ما يسمى بـ"السينما النظيفة" في الفترة ما بين عامي 1997 و2007 احتوت على الكثير من الضحك لكنها لم تحمل قيمة فنية عالية، ومالت دائما نحو التنميط فمحمد هنيدي هو القصير، وعلاء ولي الدين هو السمين، وهاني رمزي هو الطويل.

وأضاف، لـ"العرب"، أن مفهوم السينما النظيفة يجعل معيار الحكم على العمل أخلاقيا من ناحية اشتماله على مشاهد عاطفية أم لا، ويلغي العناصر الأساسية لصناعة السينما الجيدة، والأمر ذاته ينطبق على تقديم سينما خالية من الإبداع وتعتمد على العري فقط، فالمعيار الأساسي للحكم يجب أن يكون الجودة فقط.

وتنامت "أعمال اللاقبلات" على مدار السنوات الماضية لاعتبارات تجارية صرفة، مع اندثار دور السينما التقليدية العادية لصالح صالات العرض الخاصة في السلاسل التجارية الكبرى التي توفّر خدمات عروض الأفلام السينمائية بجانب محال تناول الطعام والتسوّق العائلي فوفّرت مضمونا ترفيهيا يناسب الجميع، ويمكن هضمه بسهولة مع كميات المقرمشات التي يتناولها مشاهدو أعمال الصالات الضيقة.

ويثير المفهوم تخوّفا من تغوّل الجهات الرقابية التي تقدّم نفسها كحامية للذوق العام من ممارسة المقص على الأعمال الحبلى بالمعاني والإسقاطات السياسية بذريعة تضمنها مشاهد قبلات، أو مخالفتها للسينما المتوافقة مع الأخلاق، وفتح فرصة أكبر لأخرى تخلو من المضمون الفني تماما بحجة أنها "محتشمة".

ولا يخفي المخرج داود عبدالسيد، تخوّفه من تلك النقطة بالذات، فيقول "السينما النظيفة، جعلت المواطن يعشق الرقابة المسبقة على عقله وعينيه ويصبح رقيبا مكملا لدور هيئة المصنفات الفنية، ورغم ذلك لم تنجح تلك الأعمال في الوصول لأهدافها المعلنة، فالمجتمع لم يتغيّر للأفضل على مستوى الأخلاق، وكل ما حققته هو تحاشي قطاع من الفنانات القيام بأدوار جريئة خوفا من سهام النقد والتجريح".

القبلات الفنية

يحمل مصطلح "السينما النظيفة" نوعا من الوصم الأخلاقي لفئة ليست بالقليلة من الفنانات اللاّتي تؤدينها تحت سيادة مبدأ أنها مبرّرة وضرورية فنيا، ومن هنا كان الهجوم المتكرّر على ممثلة مثل سلوى خطاب ترى أن "السينما ساءت أحوالها منذ توقف القبلات الساخنة"، وعلا غانم التي تؤكّد أن "الفن النظيف" يخنق الإبداع، وياسمين عبدالعزيز، حيث اعتبرته مصطلحا باطلا تماما منذ نشأته.

ولا تخلو نشأة السينما النظيفة من مآرب سياسية، فنموها تماشى مع جيل الدعاة الجدد ذوي الملابس العصرية المغايرة للشيوخ التقليديين الذين دعمت الدولة المصرية خطابهم الحياتي المنفتح لمواجهة شيوخ التيارات السلفية وشجّعت على ظهورهم في وسائل الإعلام، وأصبحوا نجوما جذبوا شريحة لا بأس بها من الفنانين ولاعبي الكرة، حضروا دروسهم الدينية وشكلوا معهم شبكة صداقة واسعة.

وروّجت بعض وسائل الإعلام للسينما النظيفة أيضا بشكل غير مباشر بحشر المصطلح في اللقاءات التلفزيونية التي تضم نجوما كبارا، فباتت لا تخلو من أسئلة ثابتة مثل: ما شعورك حينما تتبادل أو تتبادلين قبلة؟ وهل تشبه القبلة الحقيقة أم تختلف؟ وهل قدّمت ما يثير الخجل فنيا وترغب أو ترغبين في منع عرضه ولو بثروتك كاملة؟

وكانت غالبية ردود الفنانين والفنانات في تلك النوعية من اللقاءات متوافقة مع الجمهور الشرقي المتحفظ، ليؤكّد الفنان ماجد المصري ندمه على لقطات جريئة قدّمها في بداية حياته الفنية، ويرجع الزعيم عادل إمام رفضه التام لعمل بناته في التمثيل إلى "القبلات الساخنة"، وقالت سهير البابلي إن الحجاب الذي ارتدته يفرض عليها ألاّ تقدّم تلامسا حتى لو كان له مبرّر فني وأعادت التذكير بالرعيل الأول من الممثلين، مثل إسماعيل ياسين الذي لم يقدّم مشهدا حميميا في جميع أعماله.

ووفقا للعديد من النقاد، حملت الأعمال الموازية التي تم عرضها احتجاجا على تغوّل "الفن النظيف" على السينما نتائج عكسية بسبب حالة الغضب التي انتابت قطاعات من المخرجين حيال تقييد حريتهم في توصيل أفكارهم وتقلّص نفوذهم لصالح الممثلين، خاصة أفلام خالد يوسف مثل "كلمني شكرا" و"حين ميسرة" و"دكان شحاتة" التي تحمل تركيزا كبيرا على الجنس ما خلق صورة ذهنية سلبية عن قاطني العشوائيات بمصر، كما لو كانوا من البشر البدائيين، لا يعرفون قيما أو أخلاقا وتحرّكهم الرغبة البوهيمية فقط.

ويفرض عدد كبير من الفنانين حاليا على المخرجين استخدام "الترميز" في تجسيد المشاهد الساخنة، فحسب وجهة نظرهم لا يجب أن تتضمّن الأعمال أي قبلات أو أحضان أو شبق جنسي، فإغلاق باب الشقة على زوجين بملابس الزفاف يكفي لمعرفة ما يحدث بعدها دون شرح، ومشاعر الحب يمكن توصيلها بحركات الأعين والوجه، ومشاهد الاغتصاب يمكن توصيلها بلقطة لامرأة منكسرة تلملم ملابسها في خوف.

ويصعب عزل الجدل المشتعل حول المشاهد الساخنة بمحاولة مداعبة الطابع المحافظ للجمهور المصري وحالة الانفصام الأخلاقي للكثير من المشاهدين والفنانين على حد سواء، فالمدافعون عن الفن النظيف يهجرون أفلام السينما المستقلة لصالح الأعمال التجارية المليئة بالرقص والعري.

مخرجان جزائريان ينضمان إلى أكاديمية الأوسكار

الجزائر – تمت دعوة المخرجين الجزائريين مالك بن إسماعيل وسالم الإبراهيمي للانضمام إلى قائمة الـ819 عضوا جديدا في أكاديمية الأوسكار (أكاديمية فنون وعلوم السينما) التي انفتحت على جنسيات أخرى.

وولد مالك بن إسماعيل عام 1966 بقسنطينة حيث استهل مشواره السينمائي الهاوي قبل أن يتابع تكوينه بباريس ثم بسانت بيطرسبرغ في روسيا، ليزاوج بعد ذلك بين شغفه بالسينما والتزاماته تجاه بلده الذي أثراه بالعديد من الأفلام الوثائقية الإبداعية.

ومن خلال المواضيع المستهدفة يسلط المخرج الضوء على عيوب المرء وعقده عبر أفلام وثائقية مرتبطة بالعديد من المواضيع الحارقة، منها المجتمع والتقاليد والهوية والحداثة.

وقد تم تكريم بن إسماعيل في العديد من المناسبات، وهو يملك في رصيده حوالي 20 وثائقيا منها "ديسيبلاد" سنة 1998 حول الساحة الموسيقية الجزائرية، و"الصين لا تزال بعيدة" سنة 2008، و"حياة قرية أوراسية، مهد الثورة، 50 سنة بعد الاستقلال"، و"1962.. من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية" سنة 2012، و"معركة الجزائر، فيلم في التاريخ" عام 2017، وهو الحاصل مؤخرا على جائزة "فيلا كوجوياما" اليابانية.

أما سالم الإبراهيمي فهو منتج ومخرج وكاتب سيناريو وممثل فرنسي من أصول جزائرية ولد عام 1972 بلندن. شارك بعد فيلم "رينباو بوغ رامبو" لجون تولي عام 1995 شرقي خروبي في إخراج "عودة أفريقيا – المهرجان الثقافي الأفريقي الثاني بالجزائر" وهو فيلم وثائقي حول هذا المهرجان الذي نظم بالجزائر عام 2009.

وبعد إخراجه فيلما وثائقيا حول الأمير عبدالقادر، صوّر عام 2014 الفيلم الخيالي الطويل "الآن يمكنهم الحضور" المقتبس من رواية ارزقي ملال التي تحمل العنوان نفسه حيث ألف معه سيناريو الفيلم.

كما أنتج سالم الإبراهيمي العديد من الأفلام الخيالية الطويلة، إضافة إلى الأفلام الوثائقية على غرار "سالفس آند أوذرس" سنة 2002 لإمانويل هامون، و"مون كولونيل" سنة 2006 للوران هربيات، و"خرطوش غولواز" سنة 2007 لمهدي شارف وكذلك "في سني هذا اختبئ لكي أدخن" سنة 2016 لريحانة أوبرماير.

وإلى جانب كل من الجزائريين بن إسماعيل والإبراهيمي ضمت القائمة في وقت سابق 13 شخصية عربية من العاملين في المجال السينمائي.

وتشمل القائمة من الأعضاء العرب الممثل العالمي السوداني الأصل ألكسندر صدّيق، والمخرجة الفلسطينية مي المصري، والمخرج المغربي علي الصافي، والسينمائية البريطانية من أصول عراقية تالا حديد، والناقدة السينمائية ريما المسمار.

كما شملت القائمة الموسيقي اللبناني خالد مزنر، والمنتج التونسي توفيق عيادي، والمخرج المصري أحمد صالح، والمنتج التونسي طارق بن عمّار، والمخرجة اللبنانية مونيا عقل، والمخرجة التونسية مريم جوبير، ومصمّمة الصوت والمخرجة اللبنانية رنا عيد، والمخرجة والمؤلفة الفلسطينية نجوى نجار.

وأعلنت أكاديمية الفنون وعلوم السينما المعروفة باسم "أكاديمية الأوسكار" سنة 2016 عن مضاعفة عدد النساء والفئات الأخرى الممثلة بقلة خلال سنة 2020، إثر الانتقادات التي طالتها خلال عدة سنوات بأنها لا تمثل ولا تعكس جيدا صورة المجتمعات وتنوعها.

وبغية الالتزام بأهدافها ضاعفت الأكاديمية عدد أعضائها الأجانب ليصل إلى حوالي ألفين ومئة عضو (من أصل ما يقارب العشرة آلاف عضو) يمثلون 68 جنسية.

وتم تأجيل حفل توزيع جوائز الأوسكار إلى 25 أبريل 2021، بعد أن كان مقرّرا تنظيمه في 28 فبراير من العام نفسه بسبب تداعيات فايروس كورونا المستجد على العالم، وستكون دورة هذا العالم الأولى التي يُمنح فيها وكلاء أعمال الفنانين حق التصويت.

الجائزة العالمية تنفتح على الجنسيات العربية

الفيلم التونسي «بيك نعيش» في جولة عالمية

تونس – انطلق في الثالث من يوليو الجاري بقاعات السينما الكندية عرض الفيلم التونسي "بيك نعيش" لمهدي البرصاوي. وهو الفيلم الذي بدأت في عرضه أيضا منذ غرة يوليو القاعات البلجيكية.

وفيلم "بيك نعيش" هو أول فيلم روائي طويل للمخرج الشاب مهدي البرصاوي بعد مسيرة مكللة بالنجاح والجوائز لثلاثة أفلام قصيرة كان آخرها "خلينا هكّا خير".

ويؤدّي الأدوار الرئيسية في الفيلم الذي من المنتظر عرضه أيضا في الصين بعد انطلاق عرضه في القاعات الفرنسية في الثاني والعشرين من يونيو الماضي، كل من سامي بوعجيلة ونجلاء بن عبدالله ويوسف الخميري ونعمان حمدة وصلاح مصدّق ومحمد علي بن جمعة وجهاد الشارني.

ويروي الفيلم في 90 دقيقة قصة زوجين "فارس" (سامي بوعجيلة) و"مريم" (نجلاء بن عبدالله) يعيشان حياة عادية مع ابنهما عزيز البالغ من العمر 11 سنة، قبل أن تتحول حياة العائلة إلى مأساة.

فبعد سبعة أشهر من سقوط نظام الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي، يأخذ فارس ومريم ابنهما في جولة إلى الجنوب التونسي حيث يتعرّضون هناك لسطو مسلح، وينقل عزيز إلى المستشفى وتصبح حياته في خطر وتتحوّل العطلة إلى كابوس مرعب لهذه العائلة.

الفيلم يروي قصة زوجين يعيشان حياة عادية مع ابنهما البالغ من العمر 11 سنة، قبل أن تتحول حياتهم إلى مأساة

وسبق لهذا الفيلم أن حصل على تنويه خاص من لجنة تحكيم مسابقة الأفلام الروائية الطويلة في أيام قرطاج السينمائية 2019.